محاضرة

المرأة فى مصر القديمة

الموسم الثقافى الآثري الأول بمكتبة الإسكندرية

أ.د/ عبد الحليم نور الدين

المرأة في مصر القديمة

في الوقت الذي كان فيه الرجل هو صاحب اليد العليا في كل زمان ومكان في العالم القديم، ولم يكن للمرأة من دور سوى دورها الطبيعي في الأسرة كزوجة وأم، كان دور المرأة في مصر القديمة علامة بارزة على طريق الحضارة المصرية منذ آلاف السنين، وعنواناً على حرص المجتمع آنذاك على استثمار كل طاقاته، وصولاً إلى أعلى درجات الرقي والتقدم دون تمييز بين رجل وامرأة، وكانا أن تعاونا معاً في إطار نسيج رائع، أفرز للعالم أجمع هذه الحضارة التي جاءت بإنجازاتها سابقة لزمانها.

ونظرة فاحصة على دور المرأة في مصر القديمة من خلال ما سجلته لنا الآثار المصرية القديمة من صور لها، أو تماثيل منفردة أو مع زوجها وأسرتها، وما ورد عنها من أقوال الأدباء والحكماء، وما حملته من ألقاب، وما شغلته من وظائف، وما مارسته من دور في أسرتها وفي مجتمعها، كل هذا يجعلنا نلم بوضوح بصورة المرأة المصرية، فقد مارست دورها الطبيعي كزوجة وأم، وبذلت كل الجهد لتهيئ المناخ المناسب لأسرتها لتكون منتجة، ولتحيا حياة سعيدة هانئة في نفس الوقت، ثم جعلتها الأسرة تتداخل في نسيج مجتمع قوي متماسك، وصل إلى درجة من النضج أهلته لإنجاز هذه الحضارة الرائعة.

لقد أظهرتها المناظر والتماثيل مع أفراد أسرتها وقد بدت عليهم علامات السعادة والهناء والترابط الأسري، كما أظهرتها مهندمة أنيقة رشيقة تبدو في أبهى زينتها وأجمل ملابسها، وقد بدت عليها علامات الصحة والرضا.

ويتضح من كل النصوص التي تعاملت مع المرأة أن الزوج والمجتمع كانا يكنان لها تقديراً خاصاً، فهي التي تحمل لقب "نبت بر"، أي "ربة البيت"، وهو لقب يؤكد وضعها المتميز بين أفراد أسرتها.

وبنظرة على التشريعات والقوانين المصرية، يتضح كيف أنها حددت للمرأة حقوقها وواجباتها في الزواج وعند الطلاق، وكذلك نظمت لها أمر الميراث حفاظاً على حقوقها وآدميتها.

إضافة إلى كل هذه الجوانب من حياة المرأة، هناك ذلك الجانب الذي ميزها عن المرأة في أية حضارة من حضارات العالم القديم، ودورها في المجتمع، ذلك الدور الذي يتضح من خلال الصفات التي نعتت بها وألقاب الشرف التي أسبغت عليها، والوظائف الهامة التي شغلتها، حتى أنها تمكنت منذ تاريخ مصر المبكر من حكم البلاد.

وإذا ما بدأنا ببعض الصفات والنعوت التي وصفت بها المرأة، وفنري من بينها: "المنقذة"، و"العالمة"، و"قوية الساعد"، و"القابضة على الأرضين"، و"عظيمة القوة"، و"سيدة التجلي"، و"جميلة الوجه"، و"عظيمة المحبة"، و"المشرقة كالشمس"، و"منعشة القلوب"، و"صاحبة الرقة"، و"سيدة المحبة"، و"سيدة البهجة"، و"سيدة النسيم"، و"سيدة المرح"، و"عظيمة الاحترام"، "طاهرة اليدين"، و"سديدة الرأي"، و"الموقرة لدى زوجها"، و"النبيلة"، و"محبوبة زوجها"، و"صاحبة العظمة"، و"سيدة رعاياها"، و"ذات الجاذبية"، و"سيدة كل السيدات"، و"عظيمة الفضل"، و"حلوة المحبة".

وحصلت المرأة على مجموعة من الألقاب الشرفية التي تشير إلى احترام مجتمعها لها، والتي تربطها أحياناً بالملوك والآلهة، فهي أم الملك، وأخت الملك، وزوجة الملك، وابنة الملك. وهي: أم الإله، وزوجة الإله، وسيدة الأرضين، وسميرة حور، والمفضلة لدى الإله، وسيدة كل السيدات، وحسيبة الملك، والمعروفة لدى الملك، وابنة الإله، وسيدة التجلي، والمشرقة كالشمس، والعظيمة في القصر".

وتستمر المرأة في أداء دورها باقتدار فتشغل مجموعة من الوظائف الهامة الدنيوية والدينية، من بينها: كبيرة الحريم، ومغنية الإله، والعازفة، والموسيقية الكاهنة، والنادلة، والمرضع، والكاتبة، ومزينة الملك، والمربية، والمغنية، والمنشدة، والكاتبة، والمشرفة على متاع الملك، والمشرفة على راقصات الملك، ورئيسة الخزانة، والمجدفة، والمشرفة، والراقصة، والمطهرة، والحاكمة، والعالمة، ومقيمة الشعائر.

وفي إطار تقاليد الملكية المصرية، تلعب المرأة الملكية دوراً مؤثراً، فهي المعبر الذي لابد أن يعبره الملك لكي يصل إلى عرش البلاد. فقد كانت التقاليد الملكية تتطلب أن يكون حاكم البلاد من أم ملكية، وإذا ما تعذر ذلك كان عليه أن يتزوج من إحدى أميرات البيت المالك، وإذا ما تعذر ذلك أيضاً كان عليه أن يلجأ لحيلة سياسية تغلف بإطار ديني تعرف بالولادة الإلهية، فنرى الملك الذي وصل إلى عرش البلاد من غير أم ملكية يذيع على الناس قصة مؤدها أن الإله تزوج من أمه البشرية، وجاء هو نتاجاً لهذا الزواج، وبهذا يحصل على شرعية من قبل الإله (لم تتوفر له من قبل الأم) تؤهله لحكم مصر. ولعل أبرز الأمثلة على ذلك الملك امنحتب الثالث، والذي ولد لأم سورية، فسجل على جدران معبد الأقصر قصة زواج الإله آمون من أمه السورية، وأنه جاء نتاجاً لهذا الزواج.

وتتوج المرأة الملكية دورها في مجتمعها من خلال حكمها للبلاد، بالإضافة إلى بعض سيدات الأسرة المالكة اللائي لسن بحاكمات، لكنهن نجحن في إدارة دفة البلاد في الداخل والخارج بحنكة واقتدار.

والملكات الحاكمات هن:

١- مريت نيت، من الأسرة الأولى.

٢- خنتكاوس، من الأسرة الرابعة.

٣- نيت إقرت، من الأسرة السادسة.

٤- سبك نفرو، من الأسرة الثانية عشرة.

٥- حتشبسوت، من الأسرة الثامنة عشرة.

٦- تاوسرت، من الأسرة التاسعة عشرة.

ولعل أبرزهن جميعاً الملكة حتشبسوت التي حكمت حوالي ١٥ عاما (في الفترة من ١٤٧٣ إلى ١٤٥٨ ق.م)، تمتعت فيها البلاد باستقرار داخلي، وبسلام خارجي، وأفرز عهدها فناً مميزاً وعمارة رشيقة. ومن أبرز آثارها معبد الدير البحري في غرب الأقصر، والذي يقف شامخاً في حضن الجبل، وضع تصميمه مهندسها الشهير "سمنوت". ومن أبرز أحداث عهدها تلك البعثة التي أوفدتها إلى بلاد يونت (بلاد الصومال واليمن) لجلب البخور الذي تتطلبه الطقوس التي تجري في المعابد، ثم المسلتان اللتان أمرت بقطعهما من محجر الجرانيت الوردي في شرق أسوان، واللتان أقامتها للإله آمون في معبد الكرنك. وكانت قمة كل منهما مغطاة برقائق من الذهب، وعندما تنعكس عليها أشعة الشمس تضئ الدنيا بأكملها، ولا تزال إحدى المسلتين تقف شامخة في الكرنك، وسقطت الثانية وإن بقيت أجزاؤها في نفس المعبد بالقرب من البحيرة المقدسة. وتعتبر مقبرة الملكة حتشبسوت- التي أصابها الكثير من الدمار- من أضخم مقابر وادي الملوك.

أما عن الملكات غير الحاكمات، واللائي أسهمن في إدارة دفة الحكم في البلاد، فمنهن:

١- إعح حتب الأولي، أم الملك أحمس الأول (محرر مصر من الهكسوس، ومؤسس الأسرة الثامنة عشرة).

٢- الملكة أحمس نفرتاري، زوجة الملك أحمس.

٣- الملكة "تي" زوجة الملك أمنحتب الثالث، وأم الملك أخناتون.

٤- الملكة نفرتيتي، زوجة الملك إخناتون.

٥- الملكة نفرتاري، زوجة الملك رمسيس الثاني.

كانت هذه جولة سريعة في قلب وعقل المجتمع في محاولة للبحث عن موقع نصف المجتمع وإحدى دعامتيه الأساسيتين، المرأة. وجاءت نتائج تلك الجولة شديدة الثراء بما ألقته من ضوء على حياة المرأة المصرية القديمة، وجاءت الصورة ناصعة البياض، باعثة على الفخار، فقد عزفت المرأة مع الرجل سيمفونية حضارة متميزة، وقدما معاً المثل للعالم في الزمانين القديم والحديث على أنه بإيمان الرجل بضرورة أن تسهم المرأة بجهدها في بناء المجتمع، يجيء التلاحم، ومن ثم يجئ الإنجاز.

لقد أعطت المرأة المصرية القديمة كل العطاء لأسرتها ولمجتمعها، بل وأعطت للإنسانية جمعاء، وكانت رسالتها واضحة وضوح شمس مصر الساطعة، شامخة شموخ الحضارة المصرية، قوية قوة عطاء الإنسان المصري، تمسك بزمام القيم التي أرساها المجتمع المصري القديم عبر العصور، قيم الانتماء والمثابرة والتسامح والوفاء، خيّرة كأرض مصر الخصبة، مانحة الخير والحياة، وفيَّة سخية كنهر النيل العظيم، صافية صفاء سماء مصر إلى ما شاء الله.

مراجع للاستزادة عن: المــرأة في مصــر القديمــة

- تحفة أحمد حندوسة، الــزواج والطــلاق في مصــر القديمـــة، نحــو وعــي حضاري معاصر، سلسلة الثقافة الأثرية والتاريخية، مشروع المائة كتاب، عــدد (٢٨)، (مطابع المجلس الأعلى للآثار، [١٩٩٨]).
- رحاب محمود أحمد الشرنوبي، الملكة حتشبسوت وآثارهــا الثابتــة والمنقولــة، دراسة أثرية سياحية، ماجستير غير منشورة، قسم الإرشاد السياحي، كلية السياحة والفنادق (جامعة الإسكندرية).
- سحر فاروق القصراوي، الأرمل والأرامل في مصر القديمة وحتى نهاية الأسرة ٣٠، ماچستير غير منشورة، قسم الإرشاد السياحي، كلية السياحة والفنادق (جامعة الإسكندرية).
- سوزان راتييه، حــتــشــبــســوت .. الملكــة الفرعــون، ترجمة: فاطمة عبد الله محمود، مراجعة: د. محمود ماهر طه، الألف كتــاب الثــاني ٣٠١ (الهيئــة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨).
- عبد الحليم نور الدين، دور المــرأة في المجتمــع المصــري القديـــم، وزارة الثقافة (مطابع المجلس الأعلى للآثار، [١٩٩٥]).
- عبير محمد ذكريا عناني، الأمومة في مصر القديمة، ماچستير غير منشورة، قسم الإرشاد السياحي، كلية السياحة والفنادق (جامعة الإسكندرية).
- كريستيان ديروش نوبلكور، المــرأة الفرعونيـــة، ترجمــة: فاطمــة عبــد الله محمود، مراجعة: د. محمود ماهر طه، الألف كتاب الثاني ١٩٣ (الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٥).
- كريستيان ليبلان، زوجات رعمسيس الثاني وبناتــه وأبنــاؤه، ترجمــة: مــاهر جويجاتي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط١ (القاهرة، ٢٠٠٢).
- ليــز مانيــش، الحياة الجنسية في مصر القديمة، ترجمة: رفعت الــسيد علــي، جماعة حور الثقافيى، الطبعة الأولى ([القاهرة]، [٢٠٠٢]).
- محمد علي سعد الله، الــدور الســياســي للملكــات في مصــر القديمــة، تقديم: أ.د/ محمد جمال الدين مختار، دراسات في تاريخ مصر والشرق الأدنى القــديم (٢)، الناشر مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنــشر والتوزيــع (الإســكندرية، ١٩٨٨).
- منى أبو المعاطي النادي البيمي حسين، البنوة والأمومة في مجمع الآلهة المصرية القديمة، دكتوراه غير منشورة، إشراف: أ.د علي رضوان، كلية الآثار (جامعــة القاهرة).

- ونفرد هولمز، كانــت ملكــة على مصــر، ترجمة: سعد أحمد حسين، مراجعة: د. أحمد فخري، الألف كتاب الثاني ٢٦٩ (١٩٩٧).

- Dorothea Arnold, The Royal Women of Amarna. Images of Beauty from Ancient Egypt. With contributions by James P. Allen and L. Green, New York, The Metropolitan Museum of Art; distributed by Harry N. Abrams, Inc., (New York, 1996).

- Anne K. Capel and Glenn E. Markoe (Editors), Mistress of the House, Mistress of Heaven. Women in Ancient Egypt. Essays by Catharine H. Roehrig, Betsy M. Bryan, and Janet H. Johnson. Catalogue by Anne K. Capel and Glenn E. Markoe, with Contributions by Richard A. Fazzini, James F. Romano, David P. Silverman, and Donald B. Spanel, Hudson Hills Press, in association with Cincinnati Art Museum (New York, 1996).

- J. Cortés Martín, José J. Urruela and Ana Navajas, 'Informe: Hatshepsut, una reina en el esplendor de Egipto: Hatshepsut y la dinastía XVIII. La reina faraón. El arte en la época de Hatshepsut', Historia 16, Madrid 248 (Madrid, 1996), 47-68. (ill.).

- Aidan Dodson, and Dyan Hilton, The Complete Royal Families of Ancient Egypt, The American University of Cairo Press, first published in Egypt in 2004, first paperback edition (Cairo, 2005).

- Henry George Fischer, 'Administration Titles of Women in the Old and Middle Kingdom', in: Egyptian Studies I, Varia, The Metropolitan Museum of Art (New York, 1976), 69-79, Pl. 19.

- H. G. Fischer, Egyptian Women of the Old and the Heracleopolitan Period, The Metropolitan Museum of Art (New York, 1989).

- Sheldon L. Gosline, 'Female Priests: A Sacerdotal Precedent from Ancient Egypt', Journal of Feminist Studies in Religion 12 (Baltimore 1996), 25-39.

- Zahi Hawas, Silent Images. Women in Pharaonic Egypt, Ministry of Culture (Egypt, 1995).

- Enrichetta Leospo, and Mario Tosi, La donna dell' antico Egitto, Saggi Giunti (Firenze, 1997).

- Barbara S. Lesko, The Remarkable Women of Ancient Egypt. (Berkley-USA, 1978) [Third Edition Revised and Enlarged], B.C. Scribe Publications (Providence, 1996).
- Barbara S. Lesko, 'The Rhetoric of Women in Pharaonic Egypt', in: Listening to their Voices. Molly Meijer Wertheimer, Editor, South Carolina Press (Columbia, 1997), 89-111.
- F. Lonso Royano, 'El contrato de compromiso en el derecho matrimonial egipcio', Memorias de Historia Antigua, Oviedo 15-16 (1994-1995), 9-25.
- Glenn Markoe, 'The Personal Adornment of Ancient Egyptian Women', Minerva: the International Review of Ancient Art and Archaeology London 7, No. 6 (London, November/December 1996), 40-44.
- A. H. el-Mosallamy, 'The Evolution of the Position of the Woman in Ancient Egypt', in: Akten des 21. Internationalen Papyrologen-kongresses, Berlin, 13.-19.8.1995. Herausgegeben von Bürbel Kramer, Wolfgang Luppe, Herwig Maehler, Günther Poethke. Band I-II, Beiheft. Archiv für Papyrusforschung und verwandte Gebiete 3, B.G. Teubner, (Stuttgart und Leipzig, 1997), 251-272.
- Josep Padró i Parcerisa, 'La dona a l'antic Egipte', Asparkía. Investigació feminista, Castelló de la Plana 6 (1996), 95-100.
- Gay Robins, Women in Ancient Egypt, British Museum Press (London, 1993).
- Gay Robins, Reflections of Women in the New Kingdom. Ancient Egyptian Art from The British Museum. 4 February - 14 May 1995, Michael C. Carlos Museum, Emory University (Atlanta, 1995).
- Emily Teeter, 'Female Musicians in Ancient Egypt', in: Rediscovering the Muses: Women's Musical Traditions, edited by Kimberly Marshall, North-eastern University Press (Boston, 1993), 68-91.

- Joyce Tyldesley, Daughters of Isis. Women in Ancient Egypt (England, 1994); and Töchter der Isis. Die Frau im alten Ägypten, Limes (München, 1996).
- Barbara Watterson, Women in Ancient Egypt, Stroud (GL), Sutton Publishing, (New York, 1991; 1994).
- Steffen Wenig, Die Frau im alten Ägypten, Edition [Leipzig, 1967]
- Terry G. Wilfong, Women and Gender in Ancient Egypt from Prehistory to Late Antiquity. An Exhibition at the Kelsey Museum of Archaeology, 14 March - 15 June 1997. With contributions by Geoffrey F. Compton, Traianos Gagos, Melanie D. Grunow, Janet E. Richards, Jennifer Trimble and a preface by Abigail J. Stewart, Kelsey Museum of Archaeology (Ann Arbor, 1997).